مِنْ أَجْلِ ثَقَافةٍ شِيعِيَّةٍ زَهرَائِيّةٍ أَصِيلَة مِنْ أَجْلِ نَهضةٍ ثَقَافيّةٍ حُسينيّةٍ زَهرَائِيّةٍ مُتحضِّرة

مِنْ أَجْلِ وَعْيٍ مَهْدَوِيٍّ زَهرَائِيٍّ رَاقْ

رسالةُ الأربعين

من

أقاصي الأرض

عبدُ الحَليم الغِـزّي

منشـورات موقع القمر

رسالةُ الأربعين

من

أقاصي الأرض

يوم السبت

بتاريخ: 18 صفر 1438 هـ

الموافق: 2016/11/19 م

يا زهـــراء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

رسالةُ الأربعين

من

أقاصي الأرض

عبدُ الحَليم الغِزّي

هيئة زهرائيون/ ستوكهولم / السويد

يَا زَهْرَاءُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْم

اللَّهُمَّ يَا رَبّ الحُسَينِ بِحقِّ الحُسَين اِشْفِ صَدرَ الحُسَين بِظهورِ الحُجَّةِ عَلَيهِ السَّلام

أعنونُ حَديثي فِي هذهِ الليالي الثَّلاثة: (رِسَالةُ الأربَعين مِنْ أقَاصِي الأرض) من هنا من ستوكهولم..

ورسالَّتي هذه: أوجَهُ حديثي فيها إلى الحُسينيّين فقط..!! إلى الحُسينيّين الذين يجدون أطعم الأوقاتِ إلى قلوبهم وأطيبها في حياتهم وهُم يَعيشون خدمتهم للحُسينِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه، ولأجلِ أن يكون الحديثُ واضحاً ومُوجزاً سأجعلُ كلامي في عِدَّةِ نِقاط:

النقطةُ الأولى: ما من حركةٍ يتحرّكُها الإنسانُ إلَّا ويَكونُ فيها مُحتاجاً إلى معرفةٍ وإلى مَضمونٍ يطَّلعُ عليهِ قبل أن يُبادرَ إلى حركتهِ تلك، مثالٌ بسيطٌ يُمكن أن نُواجههُ في حياتنا وأن نُعايشهُ في تفاصيلنا اليومية على مستوى الأفرادِ أو على مستوى المجموعات، هل يقتنعُ أحدٌ إن كان بشكلٍ شخصي أو في مناسبةٍ أو في مؤسَّسةٍ أو في مجموعةٍ بطبّاخٍ يَطبخُ الطعام من دون أن يمتلك فكرةً مُسبقةً:

أوّلاً: عن الطبخ وفنِّ الطبخ.

وثانياً: عن نوع الأطباق الَّتي سيَقدِّمها في هذا اليوم أو في ذاك اليوم.

في أيِّ مناسبةٍ اجتماعية، دينية، في أيِّ نوعٍ من أنواع التجمّعات البشرية، إن كان على مستوى أسرةٍ صغيرة، أو على مستوى جموع كبيرة، هل يقتنع النّاس بشخصٍ يطبخ الطعام لهم وهو لا يحمل فكرةً أساساً عن فنِّ الطبخ؟! وحتَّى لو كان عارفاً بفنِّ الطبخ لابُدَّ أن يكون عارفاً ببرنامج هذا اليوم أو ببرنامج هذه المناسبة.

فما من حركةٍ يتحرّكُها الإنسان من دونِ معرفةٍ إلَّا وهي حركةٌ خائبة!! وإذا نجحت تلك الحركة أو أصابت الهدف فذلك الأمر قد تحقق هكذا من دون تخطيط، وإنَّما تجمّعت الأسبابُ وتهيّأت الظروف فنجحت تلك الحركة، كلمةُ سيِّد الأوصياء لكميلٍ واضحةٌ جدَّاً: (يَا كُمَيل مَا مِنْ حَرَكَةٍ إلَّا وأنْتَ تَحْتَاجُ فِيهَا إلى مَعرفة) كُلُّ ألوان الحركات، والمرادُ من الحركة هنا الأفعال، البرامج، المخططات، كلُّ ما يهندس الإنسان إلى تكوينه على المستوى المادي، أو على المستوى المعنوي، في الجانب الديني، أو في الجانب الدنيوي، شؤونات حياة الإنسان في مختلفِ مجالاتها واتِّجاهاتها، ومن هنا كان هذا الأساس الَّذي نَعرفهُ جميعاً: الأعمال بالنِّيات!! وما المرادُ من النِّيات؟

النِّيةُ هي نتيجةُ فكرةٍ مُسبقة، كيف تتحققُ النِّيةُ عند الإنسان بغضِّ النَّظرِ عن نوعية هذه النِّية؟! حديثي هنا عن النِّيةِ القصد والعزم للتحرّكِ بهذا الاتِّجاه أو بذلك الاتِّجاه، هذا القصد وهذا العزم وهذه الهمّة لا يُمكن أن تتولَّد في باطن الإنسان من دون مضمون مسبق! لابُدَّ من وجود معلومة، لابُدَّ من وجود فكرة، لابُدَّ من وجود مضمون مُعيّن يعيشهُ الإنسان بسببه يتولَّد القصد، يتولَّد العزم، تتولَّد الحاجة للحركة بذلك الاتِّجاه أو بغيره، إذا جرّدنا الإنسان من النِّية فإنَّ الإنسان سيبقى ثابتاً في مكانه لا يستطيع أن يتحرّك بأيِّ اتِّجاه، إذا لم يمتلك الإنسان قراراً أن يسير بهذا الاتِّجاه أو بذاك الاتِّجاه سيبقى واقفاً في مكانه، ومن هنا جاءت الأحاديث؛ من أنَّ الأعمال بالنِّيات، بل ذهبت إلى ما هو أبعد من ذلك؛ نيةُ المؤمن خيرٌ من عمله، لماذا؟ لأنَّ النِّية هي الأساس، النِّية هي المحرك، النِّية هي العلَّة، والعمل سيكون معلولاً، والعلَّةُ السببُ هو المحرّك الَّذي يُحرّكُ الإنسان، ومن هنا لابُدَّ من المعرفة، ولابُدَّ من المعرفة، وهذا هو أساسُ منطقِ الكتابِ والعترة، إذا أردنا أن نغور بعيداً أو حتَّى نذهب إلى الشواطئ على الساحل، في أجواء الكتاب والعترة فكلُّ المعطيات تشيرُ إلى هذا المنطق: (المعرفة!!) المعرفةُ هي الخطوة الأولى وبعد ذلك يأتي العمل.

كلمةُ إمامنا موسى بن جعفر صلواتُ الله وسلامهُ عليه كلمةٌ قصيرة مختصرة جدَّاً ولكنَّها تجمعُ الحقيقة بكلِّ أطرفها واتِّجاهاتها: (أَفْضَلُ العِبَادَةِ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ انْتِظَارُ الفَرَج).

أفضلُ العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج، وحتَّى انتظار الفرجِ هو الآخر لا يمكن أن يتحقَّق من دونِ معرفة، فيا كُميل ما من حركةٍ إلَّا وأنتَ تحتاجُ فيها إلى معرفة، هذه النقطة الأول الَّتي أردتُ أن أشير إليها مُقدِّمةٌ للنقاط الأخرى الَّتي سآتي على ذكرها في هذه الليلة ولبقية حديثي في الليلتين الآتيتين.

النقطة الثَّانية: هناك خلطٌ في الأجواء الحُسينيّة ما بينَ الحُسين صلواتُ الله وسلامهُ عليه وما بين المشروع الحُسينيّ، خلطٌ واضح وسببهُ هو عدمُ المعرفة، وإنَّني حين أتحدَّثُ عن المعرفة هنا إنَّني أتحدَّثُ عن معارف الكتاب والعترة، فحديثنا في هذه الأجواء، لستُ خارجاً عن هذه الحدود، هناك خلطٌ واضح بين الحُسينِ وبين المشروع الحُسينيّ، صحيحٌ أنَّ سيّد الشُهداء صلواتُ الله وسلامهُ عليه في ملامحه قد يتماها في مشروعه ولكنَّني سأبيّن المطلب بشكلٍ مُجمل كي تتّضح الفكرة وتتّضح الصّورة، حينَ نقفُ عند عبارة إمام زماننا صلواتُ الله وسلامهُ عليه في دعاء شهر رجب: (لَا فَرْقَ بَينَكَ وبَينَهَا إلَّا أنَّهُم عِبَادُكَ وخَلْقُك -الحديث إذا كان عن الذات الحُسينيّة بما هي هي فالحديث هنا مُغلق- لَا فَرْقَ بَينَكَ وبَينَهَا إلَّا أنَّهُم عِبَادُكَ وخَلْقُك) وإذا بلغ الكلامُ إلى الله فاسكتوا هكذا هم يقولون صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين: (إذَا بَلَغَ الكَلَامُ إلَى الله فاسْكُتُوا) لأنَّنا سندخلُ في دائرة من الحيرة وفي مجالٍ من الظُلمة الفكرية الَّتي لا نستطيع أن نغور في أبعادها وفي أعماقها فإذا بلغ الكلامُ إلى الله فاسكتوا، فالحديثُ عن ذواتهم بشكلٍ عام صحيحٌ إنَّني أتحدَّث عن الحُسينِ هنا لأنَّ المجلس ولأن الحديثَ ولأنَّ المناسبة معنونة باسمه الشريف، إذا كان الكلام عن الذات الحُسينيّة فالكلامُ مُغلقٌ هنا.

لكن في الشطر الثاني من العبارة (إلَّا أنَّهُم عِبَادُكَ وخَلْقُك) وهم في هذه الجهة لا يُقاسون بأحد فلا توجد مُعطيات للمُقايسة وإنَّما هناك ملامحٌ لهم، كلُّ ما نستطيع أن نتلامس معهُ هو ملامحٌ عن آلِ مُحَمَّد،

الزيارة الجامعة الكبيرة هي ملامح، إنَّها لا تتحدَّث عن ذواتهم بما هم هم، ولا تتحدَّث عن الجهة الَّتي لا يمكن أن يقايسوا بها ومن خلالها فإنَّنا لا نمتلكُ مُعطيات حتَّى نستطيع أن نُقايس، هذا الَّذي وُصف في كلمات أهل البيت بالقول البليغ الكامل جواباً على هذا السؤال في الزيارة الجامعة الكبيرة حديثٌ عن ملامحهم، هذهِ ملامحُ العترة الطاهرة، هذهِ ملامحُ المصطفى وآلهِ الأطهار.

وكلامي أعودُ بهِ إلى الخلط بين الحُسين وبين المشروع الحُسينيّ:

- الحُسين على مستوى الذات هذا الباب مسدودٌ في وجوهنا..!!
- والحُسينُ في الجهة الَّتي لا نستطيع أن نقايسهُ بأحد فإنَّنا لا نمتلك المعطيات وإنَّما هناك ملامحُ الحُسين، هناك ملامحهم صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين..!!

ملامحُ الحُسينِ ربّما تتماها في مشروع الحُسين صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه ولذا هو يقول سيَد الشُّهداء: (أَنَا عَبْرَةُ كُلِّ مُؤْمِن) قطعاً العبْرَة لا تأتي من دون عِبرة، العَبْرة هي العاطفة هي الدمعة، والعاطفةُ والدمعة لن تتولَّد من دون معلومةٍ مُسبقة، أيّاً كان مستوى هذه المعلومة، كيف يُحبَّ الإنسان؟ كيف يشتاقُ الإنسان؟ كيف يُبغضُ الإنسان؟ كيف يتنفَّرَ الإنسان؟ كيف يتعجّبُ الإنسان؟ كيفَ وكيفَ وكيف، إلى سلسلةٍ طويلةٍ من النشاط العاطفي الإنساني، لابُدَّ أن يكون مسبوقاً بشيء، كيف يتعجّب من دون أن تكون هناك معلومة باعثة على التعجّب، وكيف يفرح، وكيف وكيف وكيف.

فحين يقول سيَد الشُّهداء: (أَنَا عَبْرَةُ كُلِّ مُؤْمِن) هنا يتماها نفس المضمون في كلمة صادق العترة: (الحُسَينُ عِبْرَةٌ وعَبْرَة) فحين يقول سيَد الشُّهداء: (أَنَا عَبْرَةُ كُلِّ مُؤْمِن) هذا المضمون يتماها فيه معنى العِبْرة ومعنى العَبْرة في آنٍ واحد.

الخبط من هنا يأتي: هناك خبطٌ بين ذات الحُسين صلواتُ الله وسلامهُ عليه وبين المشروع الحُسينيّ، وهذا يتجلَّى من خلالِ ما يُطرح وما يُتداول طرحهُ في ساحة الثقافة الشِّيعيّة في المجالس الحُسينيّة في وسائل الإعلام في الجوَ الحُسينيّ عموماً.

لذا في النقطة الثالثة من حديثي سأستعرضُ لكم كيف يُعرضُ الحُسينُ في الوسط الشِّيعيّ، في الوسط الحُسينيّ كما قلت حديثي عنوانهُ: (رسالةٌ إلى الحُسينيّين) رسالة الأربعين أوجَهُها إلى الحُسينيّين، لأنَّني في الليلة القادمة سأعرضُ لكم نموذجاً من حديثِ آلِ مُحَمّد عن الحُسين صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه وأنتم قارنوا بين المطروح في الوسط الحُسينيّ وبين الَّذي يطرحهُ أهلُ البيت يطرحونهُ لنا.

فكيف يتمّ الحديثُ عن الحُسين في الأوساط الشِّيعيّة، في الأوساط الحُسينيّة بشكلٍ أخص:

يُعرض الحُسين صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه في أحيان بالأسلوب الإنشائي: وأنا لا أرفضُ الأسلوب الإنشائي أبداً، لكنَّني أقول: الأسلوب الإنشائي وما يُعرض من خلال الأساليب الإنشائية هو في حاشية الموضوع، مُرادي من الأسلوب الإنشائي حين يكونُ الحديث عن الحُسين بعنوان البطولة، بعنوان الكرامة، بعنوان المجد، بعنوان التضحية،

بعنوان المواقف السامية، والحديث عن بطولة الحُسينِ، الحديث عن سخاء الحُسين صلواتُ الله وسلامهُ عليه، والحديث عن رحمة الحُسين في جوٍ من الأسلوب الإنشائي والأدبي، لا أعترَضُ على هذه المضامين ولكن هذه المضامين في الحاشية، قد يكون ذلك الحديث شِعراً، قد يكون نثراً، قد يكون خطاباً، بأيِّ أسلوبٍ من أساليبِ العرض والبيان.

وقد يُعرضُ الحسين صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه في أسلوبٍ تحليلي: قد يتصوّر البعض أنَّ هذا الأسلوب فيه شيء من العمق، إذا أردنا أن نقيسه بما طرحهُ أهل البيت وستتّضح لكم الصورةُ حين نعرضُ الحُسين وفقاً لِمَا تحدّثوا عنهُ أهلُ البيت ستجدون هذا الَّذي يتوقع أنَّ شيئاً من العمقِ فيه هو في غاية السطحية، فيَعرضَ الحُسين بأسلوبٍ تحليلي وبأشكال متعددة:

- إغراقٌ في البحثِ التأريخي: تحليل وتفاصيل لكل الملابسات والمعطيات التأريخية الَّتي عاصرت الحُسين صلواتُ الله وسلامهُ عليه، مقدِّمات، أسباب، وبعد ذلك نتائج وتفاصيل أخرى، تحليلٌ تأريخي، ولو أنَّ شيعيّاً يسألُ نفسه بعد أن يبذل جهداً في هذا الجانب إن كان هو الَّذي يقوم بدور المحلل أو كان هو الَّذي يستمع إلى هذا التحليل فإنَّهُ لن يجد شيئاً قد حصل عليه، أتحدَّث عن شيءٍ حقيقي يغيِّرُ من علاقة الشِّيعي بالحُسين صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه أو يعطيها طعماً جديداً.
- وقد يذهبَ التحليل في الجانبِ السياسي، والتركيز على البعد السياسي فيما جرى في كربلاء.
- وقد يذهبَ التحليلُ في تسليط الضوء على الجانب العسكري في المعركة، والإغراق في التفاصيل العسكرية.
- وقد يذهب التحليل في الجانب الإعلامي والحديث عن التفاصيل الإعلامية والآثار الإعلامية الَّتي كانت جُزءَا ممّا جرى في عاشوراء وما بعدَ عاشوراء.

وكلُّ هذا لا أعترضُ عليهِ ولكنَّني أقول هذه حواشي: التحليل التأريخي! التحليل السياسي! تسليط الضوء على الجانب العسكري! تسليط الضوء على الجانب الإعلامي! إنَّني لا أعترض على هذا، هذه من شؤونات وحيثيات ما جرى في كربلاء وما جرى في عاشوراء لا أعترضُ على ذلك، إذا جاءت وفقاً لمنهجيّةٍ تحليلية صحيحة تتبنّى المنطق السليم والمعطيات الواضحة في دائرة ثقافة الكتاب والعترة لا أعترض على هذا.

لكنَّني أقول: حين نقارنُ هذه المعطيات معَ الَّذي يُريدهُ أهل البيت سنجد أنَّ هذه المعطيات تكون في الحاشية، المتن شيء والحاشية شيء، ولكن في أجوائنا الشِّيعيّة وبنحوٍ خاص في الأجواء الحُسينيّة تتحوّل الحواشي إلى متون والمتون إلى حواشي، بل تغيب المتون ولا يبقى بين أيدينا إلَّا الحواشي، وهذه الإشكالية في الثقافة الشِّيعيّة واضحة، دائماً أقول: مشكلة الشِّيعة في ترتيب الأولويات..!! وهذه القضية على طول الخط موجودة، هذه الأشياء مهمّة، ولكن الأشياء المهمّة حين تُقدَّم على الأهم فلا هي بمهمّة ولا بذات فائدة بل تنقلب إلى مضرّة، الأشياء المهمّة تبقى مهمّة إذا وُضعت في محلِّها الصّحيح! لكن إذا نُقلت هذه الأشياء المهمّة ووضعت في موضع الأهمّ إنَّنا سنكون في دائرةٍ من الإفساد الثقافي! في دائرةٍ من الإفساد الفكري! في دائرة من الإفساد العقائدي!

وهذا المنهج، المنهج التحليلي هذا هو المنهج السّائد على مستوى التأليف، على مستوى المقروء، على مستوى المرئي والمسموع، وعلى مستوى الثقافة العامة، تحليل ضمن الإغراق التأريخي، ضمن المعاني السياسية العسكرية، في معطيات الإعلام والتبليغ، إلى غير ذلك من التفاصيل الأخرى.

الحديث عن البعد الإنساني فيما جرى على أرض الغاضريات، كلُّ هذه أشياء جميلة يمكنني الآن أن أفتح لكم موضوعاً وقد يراه البعض ممكن جديداً، يمكنني أن أفتح موضوعاً عن حقوق الحيوان وعن الرفق بالحيوان وأستقصي الحوادث الَّتي تتحدَّث عن مظاهر الرفق بالحيوان ولربّما من أجلى صورها، هناك صور عديدة، أنا لا أريد الحديث عن هذا الموضوع، لكنَّني سُقتُ هذا مثالاً لكم، الحادثة المعروفة حين أقحم الحُسين الفرس كما يذكرون في كُتب التأريخ وقال للفرس: (أنت عطشان وأنا عطشان ولا أشرب حتَّى تشرب) يمكن أن أجد من هذا عنواناً وأتتبّع التفاصيل الموجودة وكأنّني جئتُ بفتحٍ عظيم، شيءٌ حسنٌ هذا ولكن هذه حواشي، هذه حواشي الحواشي، المشكلة أنَّ الَّذي يتحدَّث بهذا المستوى الثقافة العامة تعتبرهُ جاء مجدِّداً، وهذه قضية كبيرة، هذه القضية لا تخص الأجواء الحُسينيّة لكنَّني أنا الآن أتحدَّث هنا في الجوّ الحُسيني، هذه القضية موجودة على طول الخط وفي كلِّ المساحة الثقافية والفكرية والعقائدية.

هناك اتِّجاه آخر يعرض الحُسين من جهة الكرامات والمنامات والمكاشفات، وأحاديث الثوابِ والأجر، أنا من البداية قلت: إنَّني لا أعترض على كل المضامين الَّتي أشرتُ إليها ولكنَّني أقول كل هذه المضامين هي حواشي، كل التفاصيل الَّتي أشرتُ إليها ابتداءً من العرض الإنشائي للواقعة مروراً بالجانب التحليلي والتفاصيل الَّتي أشرتُ إليها وانتهاءً بهذه النقطة بهذا اللون من العرض، الكرامة، المعجزة، سمِّ ما شئت، المنام، المكاشفة، الثواب والأجر، وسائر التفاصيل الأخرى، هذه أجزاء من الثقافة الشِّيعيّة صحيح ولكن هل هي في المتن؟ إذا ما قرأتم الزيارة الجامعة الكبيرة هل تجدون أثراً لذلك من هذه المضامين؟ هذا القول البليغ الكامل يشتمل على هذه المضامين؟ إذاً ما هي من القول البليغ الكامل، صحيحة، مهمّة ولكن هل هي الأهم؟!

هناك عرضٌ آخر يُعرض الحُسين بعنوان المصيبة، بعنوان الألم، صحيحٌ العنوان الأوّل في المشروع الحُسيني هو الألم والحُسين صلواتُ الله وسلامهُ عليه استراتيجيته في العمل تقنية العمل في عاشوراء هو تجييشُ العواطف، الحُسين صلواتُ الله وسلامهُ عليه جيّش العواطف وهذا التجييش بقي مستمراً إلى هذه اللحظة، الآليّةُ الَّتي جعلت واقعة كربلاء مستمرة إلى هذا اليوم هو الجانب العاطفي، ولكن هل أنَّ الحُسين قُتل صلواتُ الله وسلامهُ عليه لأجل البكاء هذا الكلام منطقي؟! يعني الحُسين قُتل لأجلِ إظهار الجزع!! ما هذه من شؤونات المشروع، عرض الحُسين بهذا العنوان وأذكر وأكرر إنَّني لا أعترض على هذه المضامين هذه المضامين صحيحة كل ما تقدَّم ذكره مضامين صحيحة ومهمّة ولكن هل هي الأهم؟ أقولُ: لا، لو أنَّ مُصيبة الحُسين تُعرض بمعناها العميق نعم ولكنّها لا تُعرض بالمعنى العميق، تُعرض في بعض الأحيان بنحوٍ قد يساءُ به إلى الحُسين، حين يُصوّر الحُسينُ أو تُصوّر العقيلةُ أو تُصوّر الأحداثُ بشكلٍ يظهر فيه الضعف والخَوَر هذه إساءة، وأنا هنا لا أريد أن أدخل في التفاصيل، هناك تصوير مشهور للعقيلة الهاشمية وكأنَّها امرأةٌ قُروية من قُرى جنوب العراق،

امرأة تبحثُ عن رجلٍ من أقربائها يحميها، ويبقى الحديث في هذا الجوّ، لا تتجاوز القضية أكثر من هذا البعد، وحتَّى مع سيَد الشُّهداء، وحتَّى مع قمر الهاشميّين وأنا هنا لا أريد الحديث عن هذهِ التفاصيل.

وهناك عرضٌ آخر إضافة إلى هذه الألوان من العرض، أنا ذكرت: الأسلوب الإنشائي! الأسلوب التحليلي بكل تفاصيله! الكرامات، المعجزات، المنامات، وسائر المطالب الأخرى، العرض المصائبي، ولكن ليس باللون الَّذي تحدَّثَ عنهُ أهل البيت، بلون أقرب إلى الواقع القبلي إلى الواقع العشائري، هناك عرضٌ آخر وربّما يشيعُ أكثر في مجالس النساء أو في مجالس الرجال وهو العرضُ الكشكولي، يُعرض الحُسين بنحوٍ لا تدري ما هو أولهُ ما هو آخره، حتَّى أنَّ النّاس حين يخرجون من المجلس يقولون الحمد لله حصّلنا على دمعة، يعني هذهِ هي النهاية النتيجة النهائية هي هذه، أنَّهُ حصّلنا على دمعة، وكأنَّ الغاية هي الدمعة!! الدموع هي جُزءَ من المشروع الحُسينيّ، هي وسيلة من وسائل الارتباط، البكاء والأحزان والجزع وسائر التفاصيل الأخرى، هذه مفردات ووسائل لأجل تشديد الرابطة فيما بين الشِّيعة وبين سيَد الشُّهداء صلواتُ الله وسلامهُ عليه وإلَّا ما الحاجةُ لها، هذهِ وسائل ما هي بغايات، يُمكنني أن أقول بشكل إجمالي قد غطّيت الأساليب أو الطرق الَّتي يُعرض فيها سيَد الشُّهداء في الوسط الحُسينيّ ولذا أنتقل إلى نقطة أخرى.

النقطة الأخرى الَّتي أجعل حديثي فيها سؤال: هل من الوفاء للحُسين صلواتُ الله وسلامهُ عليه أنَّ الجميع في الوسط الشِّيعي ينتفعون من الحُسين ولكن المشروع الحُسينيّ لن ينتفع بشيء، فهل هذا من الوفاء..؟!

وإن كان هو حتَّى المشروع الحُسينيّ هو لنا، إذا أردنا أن ندرس الواقع الشِّيعي، الآن هذا النشاط الحُسينيّ والَّذي يستمرّ من بدايات شهر محرم بل حتَّى قبل شهر محرم من نهايات شهر ذي الحجّة إلى بدايات شهر ربيع الأول هذا النشاط الحُسينيّ المكثَّف، هذهِ الجهود الهائلة، الأموال الكثيرة الَّتي تُصرف، الزّمان الكثير الَّذي يُصرف، الجهود المعنوية، المادية، الإمكانات البشرية، هذهِ الإمكانات الهائلة الَّتي تُصرف قطعاً تترتب عليها منافع وإذا أردنا أن ندرس هذا الجوّ سنجد أنَّ الكثيرين ينتفعون من هذا الجوّ الحُسينيّ، على سبيلِ المثال:

الزعامات الدينيّة: تنتفعُ من هذا النشاط الحُسينيّ ويُكرّس باسمها وبالمناسبة هي لا تبذلُ شيئاً، لربّما هناك من الزعامات الدينيّة الَّتي يُكرّسُ باسمها هذا النشاط الحُسينيّ لو ثُنيت لهم الوسادة لكانوا من أوائل الَّذين يقفون في وجه هذا النشاط الحُسينيّ، ولكن وهم جالسون في بيوتهم ينتفعون من هذا الجوّ الحُسينيّ ويُكرّسُ بأسمائهم وينتفعون من ذلك، ولا أعترضُ على هذا.

الزعامات السياسية: في الواقع الشِّيعي أيضاً هي الأخرى لو ثُنيت لها الوسادة لَمَا تركت شيئاً من هذا الواقع الحُسينيّ، ولكن أيضاً تُكرّس هذه الشعائر الحُسينيّة بأسمائهم في مجموعاتهم وأنا هنا لا أريد أن أناقش هذه التفاصيل.

الشخصيات الاجتماعية المرموقة: على المستوى الاجتماعي، أصحاب الحُسينيّات الكبيرة والمواكب الكبيرة، هم الآخرون ينتفعون مادياً، لأنَّ النّاس لا تتبرع بالأموال للمواكب الصغيرة، هو دائماً الدنيا هكذا الفقير لا يُعطى الغني هو الَّذي يُعطى، هذه القضية على طول الخط هكذا، النّاس تتبرع بالأموال الكثيرة، لمن؟

للحُسينيّات الكبيرة، للمواكب المشهورة، الأموال الكثيرة تذهب إلى هناك، الكثير من أصحاب هذه الحُسينيّات والمواكب أنا هنا أيضاً لا أريد أن أدخل في التفاصيل ولكنَّهم ينتفعون منها اجتماعياً مادياً إلى تفاصيل أخرى كثيرة ولا أعترضُ على ذلك.

عموم الشِّيعة: ينتفعون من هذه الأجواء الحُسينيّة على مستويات كثيرة، قد يطول الحديث إذا أردتُ أن أدخل فيما ينتفعُ منهُ وبهِ عموم الشِّيعة من الأجواء الحُسينيّة على المستوى المادي أو على المستوى المعنوي.

النتيجة: الجميع ينتفعون من الحُسين، ولكن المشروع الحُسينيَ ماذا انتفع؟! وهو بالأساس المشروع الحُسينيَ هو لنا وللشِّيعة، المشروع الحُسينيَ ما هو؟ أساساً هؤلاء الحُسينيّون الذين ينتفعون من الحُسين بكلِّ أبعاد الانتفاع في وجههِ المادي وفي وجههِ المعنوي أساساً يعرفون المشروع الحُسينيَ؟

كلمة قصيرة هي الَّتي تختصرَ لنا المشروع الحُسينيَ، الكلمة الَّتي قالها سيَد الشُّهداء لسيَد السّاجدين، قبل أن يخرج الوداعِ الأخير، قبل أن يخرج سيَد الشُّهداء الخروج الَّذي لم يعد بعدهُ إلى خيامه، دخل إلى خيمة السّجاد وحادثهُ، من جُملة ما قالهُ إمامنا سيَد الشُّهداء لسيَد السّاجدين والرِواية عن سيَد السّاجدين، الإمام يُحدِّثهُ: (أنَّ دَمَهُ سَيَبْقَى يَفُور -يَفُور؛ يغلي، يبقى هذا الدَّم يفور ويغلي- إلى أيِّ وقتٍ؟ إلى ظُهورِ وَلَدِي الْمَهْدِيّ) إلى ظهورِ ولدهِ المهديّ، سيبقى هذا الدم يغلي يغلي يغلي ويفور، هذه الجملة تشرحُ لنا المشروع الحُسيني، فأين هذا من واقع الثقافة الحُسينيّة؟! المشروع الحُسينيَ هو هذا: دمٌ يغلي ويفور، يغلي ويفور لا بحسب المخيلة الشِّيعيّة، يغلي ويفور بحسب الحقيقة، يغلي ويفور منتظراً إمام زماننا صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه.

ماذا يُقدِّمُ الشِّيعةُ الحُسينيّون بهذا الاتِّجاه..؟!

لا يُوجد شيء، دلوني على مكان أو جهة أو شيء، هل يوجد؟ هل يوجد هناك مشروعٌ أو مؤسسة أو أي شيء في هذا النشاط الحُسينيَ الضخم جداً، لا يُشابههُ نشاط، لا توجد مناسبة في كلّ العالم تستمر أكثر من شهرين بهذه الحرارة وبهذه الجموع البشرية وبهذا التنوّع الهائل من النشاطات، طاقة هائلة جداً، والجميع ينتفعون منها ولكن نفس المشروع الحُسينيَ لا تصل أي منفعة لهذا المشروع، لماذا؟

أعود إلى أول كلامي: (يَا كُمَيل مَا مِنْ حَرَكَةٍ إلَّا وأَنْت تَحتَاجُ فِيهَا إِلَى مَعْرِفة) وأول خطوة في طريق المعرفة هي معرفة الأولويات، فحينما تتحوّل المتون إلى حواشي وبعد ذلك تغيب وتتحوّل الحواشي إلى متون تكون هي هذه النتائج، ستسير القضايا بشكلٍ مقلوب، لذا قُلتُ بأنَّني في هذه الليالي سأجعلُ حديثي رسالةً إلى الحُسينيّين وإلى الحُسينيّين فقط!! وعرضتُ في هذه الليلة بشكل مُجمل كيف يُعرضُ الحسينُ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه في الوسط الحُسينيَ الشِّيعيَ.

في الليلة الآتية سأعرضُ الحُسين كما عرضوه، كما عرضوهُ لنا، في كلماتهم صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين وما عليكم إلَّا المقارنة، هذه الملايين الَّتي تخدمُ الحُسين، لا أتحدَّث عن ملايين الزائرين، عن الملايين بكلِّ أشكالها في كل بقاعِ العالم من الشِّيعة الحُسينيّين، ليس كلُّ الشِّيعة يتجمّعون في زيارة الأربعين، أتحدَّث عن ملايين وملايين أكثر من هؤلاء، أينما يقطن الشِّيعةُ في هذهِ الأرض، هذه الجموع والملايين البشرية الَّتي تُمارسُ نشاطها

الحُسينيّ، تُمارسُ نشاطها الحُسينيّ في جوٍ من الأنانية، لأجل أن يحصّل الشِّيعي الفائدة والمنفعة بغضِّ النظر عن لونها أو عن نوعها، لا نستطيع أن نتجرّد من الأنانية، هذا الكلام الَّذي يُقال من أنَّ الإنسان يمكنهُ أن يتجرّد من الأنانية هذا الكلامُ ليس علمياً، طلبُ الخيرِ هو لون من ألوان الأنانية أيضاً، الأنانيةُ هي سرّ وجود الإنسان وسرّ وجود الكائنات، لا يُمكن أن يتجرّد منها المخلوق، لكن الحديث عن توظيفها بأي اتِّجاه كيف توظَّف؟ وإلَّا لا نستطيع أن نتخلَّى عن الأنانية، لأنَّ الإنسان إذا تخلَّى عن الأنانية لا يستطيع أن يستمر في حياته، حينئذ يمكن أن يخرج من هذا المكان ويركب سيارته ويقود بالاتِّجاه المعاكس وبسرعة عالية جداً لأنَّهُ لا يعبأ بنفسه فيهلك، بقاءُ الإنسان في هذه الحياة وسائر التفاصيل المرتبطة بصحته بسلامته بشوؤنه الاقتصادية، الاجتماعية، كلها متفرعة عن الأنانية، لكن الحديث عن توظيفها كيف توظَّف، وأنا لا أريد الخوض في هذه القضية، لكنَّني فَقط أشير إلى كلمتي الَّتي قُلتها قبل قليل من أنَّ الجميع في جوِّنا الحُسينيّ الشِّيعيّ الجميع ينتفعون من الحُسين لكنَّ المشروع الحُسينيّ لم يُقدِّم الحُسينيّون لهُ أي شيء، الجميع يأخذون ولا يعطون، قد يقول قائل الحُسينيّون كلُّهم يعطون، ينفقون المال والوقت والجهد العضلي، ولكنَّهُ يُنفقُ بطريقةٍ تَضطربُ فيها الأولويات، وترتبكُ فيها الأولويات، فالأهم يُلغى ويؤتى بالمهم ليحلَّ محلَّهُ والنتيجة ستكون خائبة، هناك حركةٌ مسبوقةٌ بمعرفة صحيحة ستقود إلى النجاح، وهناك حركةٌ ليست مسبوقةً بمعرفةٍ صحيحة ستقود إلى الخيبة..!!

رجائي أن تتذكروا هذا المطلب لمن يحضر منكم في الليلة القادمة كي لا أعيد الكلام لأجلِ أن تتحقق عندنا مقارنة بين واقعنا الشِّيعيّ الحُسينيّ الَّذي تحدَّثتُ عن ملامحه بشكل مُجمل في هذا الوقت المقتضب وبين ما سأعرضه بين أيديكم في الليلة القادمة من حديثهم وكلامهم صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين.

اللَّهُمَّ يَا ربَّ الحُسينِ بِحقِّ الحُسَين اِشْفِ صَدرَ الحُسَين بِظهورِ الحُجَّةِ عَليهِ السَّلام..

أسألكم الدعاء جميعاً..

وصلَّى اللهُ عَلى سَيدنَا ونَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وآلهِ الأطيَبِين الأطهَرين..

وفي الختام:

لابُدّ من التنبيه إلى أنّنا حاولنا نقل نصـــوص الكلمة كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل الكلمة بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع القمر.

مع التحيات

الـمُتابَعة

القمر

1438هـ

2016 م

رسالةُ الأربعين من أقاصي الأرض - السويد: الجزء الأول ... متوفّر بالفيديو والأوديو على موقع القمر

www.alqamar.tv